[٢٨] العلاقات الزواجية

المفهوم: إن الأسرة هي دعامة المجتمع وهي الخلية الأولى الحية التي يتكون منها أفراده وتتلاقى فيها خلاياه، والأسرة القائمة على أسس سليمة الصادرة من قيم فاضلة القائمة برسالتها خير قيام؛ هي تلك التي يردى الأب فيها أنه راعي البيت والقائم على أمره فيه. وترى الأم أنها مسئولة عن إدارة شئون البيت والأبناء، وعن غرس الفضائل الحميدة في نفوس أبنائها وتربيتهم التربية السليمة وتنشئتهم النشأة المستقيمة. ويرى الأبناء فيها ما ينبغي عليهم من القيام بواجباتهم والنهوض بالحياة سيراً على الجادة وطموحاً للمستقبل الزاهر والحياة السعيدة المقبلة عليهم وهم في أمن نفسي، واستقرار أسري وهدى من الإسلام يؤمنون به ويسعون بتعاليمه. ويرى شلتوت (د.ت: ١٥٩) إن الأسرة لبنة من لبنات المجتمع الذي يتكون من مجموعة أسر يرتبط بعضها ببعض. ومن الطبيعي أن البناء المكون من لبنات، يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة وضعف، فكلما كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة، كان المجتمع لمكون كذلك قوياً ذا تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنات ذات ضعف وانحلال، كان المجتمع كذلك ذا ضعف وانحلال.

وقد نظم الإسلام العلاقات الأسرية تنظيماً دقيقاً محكماً، وجعل لها من الضوابط ما تستقيم به حياتها وتنتظم به في حياتها الاجتماعية. وأول أفراد الأسرة وأولادهم بذلك إنما هما الزوجان؛ إذ هما الأصل الذي تصدر عنه علاقات الأبناء وتنطلق منه خطاهم في المجتمع. ولذا على الإسلام بحقوق كلا من الزوجين فجعل للرجل حقوقاً وعليه واجبات وجعل للمرأة حقوقاً وعليها واجبات. فالغاية المنشودة في الأسرة الإسلامية تتركز في حياة المودة والسكينة والهدوء والطمأنينة، فتسكن الزوجة إلى زوجها ويسكن الزوج إلى زوجته وتشرق بينهما حياة ظليلة تكتنفها المودة والرحمة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقد صان الإسلام حقوق الزوجة وحافظ عليها ودافع عنها: لما لها من أهمية قصوى في حياة الأسرة، فلها حقوقها من مهر ومأكل وملبس ومسكن ونفقة وغير ذلك: وليس في وصف الإسلام لها بأنها خلقت من ضلع أعوج ما ينقص من قيمتها. بينما كفل الإسلام حقوق المرأة في جميع مراحل حياتها وفي كل أدوار تكوين الأسرة ولا يقلل الوصف من قيمتها ولا يحط من منزلتها. ولذا فإن الحديث النبوي الشريف الذي ذكر وصف المرأة بالعوج؛ وقدم هذا الوصف لتأكيد الوصية بالنساء وجعل وصفهن بالعوج سبباً للوصية ليكون الاحتمال الأسري والتعاطف والمودة ثم أردف كذلك بالوصية بالنساء. عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فيتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء من الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيراً" [مسلم، ١٩٩٥: ١٠٩١]. كما أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. وبالإضافة إلى ذلك؛ يؤكد الإسلام حقوق الزوج بصورة حاسمة؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها" [أخرجه الترمذي]؛ ويؤكد الحديث هنا على أهمية الوصية بحقوق الزوج وطاعته وعدم إهمال حقه من قبل المرأة فقد تعرض لها أسباب أو تخدعها مغريات فتهمل في حقه أو تقصر في طاعته وقد تتغير به الأيام وقد يتغير اليسر إلى عسر، وقد تتغير الصحة إلى مرض فأحداث الحياة كثيرة وتقلباتها متعددة لا تقع تحت حصر، لذا لا ينبغي أن تعرض العلاقة الزوجية لهذه المؤثرات؛ فمثلما يطالب الرجل بحقوق المرأة فإن المرأة مطالبة بحقوق الرجل فعن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت الآية القرآنية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ كبر ذلك على المسلمين فقال عمر: أنا أفرج عنكم؛ فانطلق فقال: يا نبي الله أنه كبر على أصحابك

هذه الآية؛ فقال رسول الله ﷺ: "إن الله يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى من أموالكم، وغنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم" فكبر عمر، ثم قال له الرسول ﷺ: "إلا أخبرك بخير ما يكنز المرء؛ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها طاعته، وإذا غاب عنها حفظته".

ومن الواجبات على المرأة أن تحفظ مال زوجها، وإذا أنفقت في غير إفساد كان لها أجرها على الإنفاق ولزوجها أجره بما كسب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيت زوجها غير مفسدة فلها أجرها بما أنفقت، وللزوج بما اكتسب وللخازن مثل ذلك، ولا ينقص أجر بعضهم من أجر بعض شيئاً" [أخرجه مسلم]. وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: "أيما امرأة ماتت زوجها عنها راض دخلت الجنة" [رواه الترمذي]. ويعد الإسلام رضا الزوج من أهم أسباب دخول المرأة للجنة، ولكن ينبغي تقييد هذا الرضا حيث لا يتعارض في أمور الدين فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإنما المقصود برضا الزوج على المرأة هو حسن معاملتها وأدبها والتزامها بمبادئ الإسلام التي قررها للحياة الزوجية التي تشرق بالمودة والوئام والتفاهم والانسجام وتتجاوب فيها العواطف المخلصة إلى أنبل المقاصد وأسمى الأهداف الكريمة.

وعليه تقوم العلاقة بين الزوجين على السكن والمودة والرحمة، فقال ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]؛ وتقوم على المساواة في الحقوق والواجبات ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ ولم يقبل هذه العلاقة أن تنفصم حتى في حالة الكراهية ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]؛ ويرتفع القرآن بالحياة الزوجية إلى مقام الإحسان في المعاملة، ولا يرضى لها أن تقوم إلا على الفضل، حتى في حالة الفراق {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

كما لا تقوم العلاقة في الأسرة على أساس المصلحة المادية ومنطق الربح والخسارة؛ إنما تقوم على التبذل والرعاية من الآباء، وعلى الطاعة والبر والإحسان للأبوين بعبادة الله، وشكرهما بشكره، اعترافاً بفضلهما، وضماناً لهما من الإهمال والضياع في كبرهما، ورعاية للمستوى الخلقي الرفيع للأسرة ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]؛ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وعلى الجانب الآخر؛ إن قيام الحياة الزوجية على الشك والريبة من شأنه إفساد جو الأسرة ويهددها بالتفكك والانهيار، ومن هنا فقد شدد النبي الكريم ﷺ على عدم التعريض بالزوجة؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وأني أنكرته، فقال له النبي ﷺ: "هل لك من إبل"، قال: نعم، قال: "ما ألوانها؟" قال: حمر، قال: "هل فيها من أورق؟" قال: نعم، قال: "فأنى كان ذلك؟" قال: أراه عرق نزعة. قال: "فلعل ابنك هذا نزعة عرق" [أخرجه البخاري]. ومما لا شك فيه، أن عدم

التوافق بين الزوجين يؤدي إلى التصدع الأسري، الذي بدوره ينعكس على الصحة النفسية للأبناء، فإن عدم التوافق له آثار سيئة كثيرة على النمو النفسي للطفل؛ وعدم الكفاءة، وانخفاض الطموح وقلة الرغبة في العمل والإنجاز، وضعف التحصيل الدراسي، واضطراب العلاقة بالزملاء والمدرسين وسوء التوافق النفسي والاجتماعي.

القياس: قام باريت – لينارد Barrett-Lennard (١٩٦٢) بتصميم قائمة العلاقات الزواجية Barrett-Lennard Marital Relationship Inventory لقياس التوافق الزواجي؛ وهي مكونة في صورتها المبدئية من (٩٢) عبارة لقياس المتغيرات التالية: مستوى الاحترام Level of Regard، والرغبة في أن يكون معروفاً Willingness to be Known، والتفاهم العاطفي Empathic Understanding، والانسجام Congruity، وعدم وجوب الاحترام Unconditionality of Regard، وقد اشتقت هذه العبارات من خلال المقابلات على مجموعة من المتزوجين والمتزوجات المترددين على بعض العيادات النفسية من أجل طلب النصح والإرشاد في بعض المشكلات التي تقابلهم. وقد تمت تعريب قائمة العلاقات الزواجية إلى اللغة العربية (دسوقي، ٢٠٠٣).

الصدق: تم حساب الصدق الداخلي لقائمة العلاقات الزواجية من خلال عدة بحوث (Gross, *et al.*, 1976; Lin, 1971). كما قام جاكوب وآخرون Jacop, *et al.* (١٩٨٠) بإيجاد الصدق العاملي للقائمة، ومن أجل تحقيق ذلك، تم حذف (١٦) عبارة من عبارات القائمة لأنها غير ملائمة للتطبيق على المتزوجين والمتزوجات، ومن ثم بقي من عبارات القائمة (٧٦) عبارة موزعة على النحو التالي: (١٧) عبارة لقياس مستوى الاحترام؛ و(١٥) عبارة لقياس التفاهم العاطفي؛ و(١٦) عبارة لقياس وجوب الاحترام؛ و(١٣) عبارة لقياس الرغبة في أن يكون معروفاً. وتتم الاستجابة على هذه العبارات وفقاً لميزان تقدير مكون من خمسة موازين؛ هي: أوافق بشدة؛ أوافق؛ متردد؛ غير موافق؛ غير موافق بشدة. وتم تطبيق القائمة بعد حذف العبارات على عينة مكونة من ٢٦٤ متزوجاً (المتوسط الحسابي لأعمارهم = ٣١ سنة، والانحراف المعياري = ٩,٠٠)؛ و٢٥٩ متزوجة (المتوسط الحسابي لأعمارهن = ٢٩ سنة؛ والانحراف المعياري = ٨,٦). وانتهى التحليل العاملي إلى عاملين، حيث تشبع على العامل الأول (٣٣) بنداً، وتشبع على العامل الثاني ثمانية بنود.

وإلى جانب هذا، قامت الدسوقي (٢٠٠٣) بحساب الصدق الداخلي لقائمة العلاقات الزواجية، وذلك من خلال تطبيقها على عينة مكونة من أربعين زوجة.

الثبات: تم حساب الاتساق الداخلي لقائمة العلاقات الزواجية باستخدام طريقة التجزئة النصفية من خلال أربعة عشر دراسة، وقد تراوحت معاملات الثبات بعد التصحيح من ٠,٧٤ إلى ٠,٩١؛ كما أمكن حساب ثبات القائمة باستخدام طريقة إعادة الاختبار من خلال عشر دراسات؛ فتراوحت معاملات الثبات من ٠,٨٠ إلى ٠,٨٥ (Gurman, 1977). وإلى جانب هذا، قامت الدسوقي (٢٠٠٣) بحساب ثبات القائمة باستخدام معامل ألفا لكرونباخ، فبلغ ٠,٧٦.

قائمة العلاقات الزواجية(*)

	العبارات	أوافق بشدة	أوافق	متردد	غير موافق	غير موافق بشدة
١-	زوجي يحترمني	( )	( )	( )	( )	( )
٢-	يحاول زوجي أن يرى الأشياء كما أراها	( )	( )	( )	( )	( )
٣-	يفهم زوجي كلامي ولكنه لا يحاول أن يفهم مشاعري.	( )	( )	( )	( )	( )
٤-	يحدثني زوجي عن آرائه ومشاعره أكثر ما أريد معرفته	( )	( )	( )	( )	( )
٥-	يكون زوجي عصبياً ومتوتراً عندما أتكلم أو أسأل عن أشياء معينة	( )	( )	( )	( )	( )
٦-	يفضل زوجي أن لا يتحدث عن نفسه	( )	( )	( )	( )	( )
٧-	لا يستطيع زوجي أن لا يتحدث عن نفسه	( )	( )	( )	( )	( )
٨-	زوجي غير مكترث بي	( )	( )	( )	( )	( )
٩-	يقول زوجي أشياء كثيرة عن نفسه أكثر مما أريد سماعه	( )	( )	( )	( )	( )
١٠-	يستجيب زوجي لي بطريقة سالبة خاصة إذا كانت مشاعري نحوه سالبة	( )	( )	( )	( )	( )
١١-	لا يريد زوجي أن يفهمني بسبب اتجاهاته السلبية نحوي	( )	( )	( )	( )	( )
١٢-	يشعر زوجي بعدم الارتياح عندما أتدخل في شئونه الخاصة	( )	( )	( )	( )	( )
١٣-	يشعر زوجي بأنني مملة وغير جذابة	( )	( )	( )	( )	( )
١٤-	زوجي أهل للثقة	( )	( )	( )	( )	( )
١٥-	أحياناً ما يكون زوجي دافئاً في علاقته معي وبارداً في أوقات أخرى	( )	( )	( )	( )	( )
١٦-	يتحدث زوجي عن أفكار أو مشاعر لا تثير اهتمامي مطلقاً	( )	( )	( )	( )	( )
١٧-	نادراً ما يبوح زوجي عن أفكاره ومشاعره الخاصة.	( )	( )	( )	( )	( )
١٨-	كثيراً ما يتسامح زوجي معي	( )	( )	( )	( )	( )
١٩-	يمثل زوجي ركناً أساسياً في حياتي	( )	( )	( )	( )	( )
٢٠-	لا يبالي زوجي لما يحدث لي	( )	( )	( )	( )	( )

(*) يمكن تحويل العبارات إلى صياغة التأنيث، بحيث يتناسب تطبيقها مع الزوج.

	العبارات	أوافق بشدة	أوافق	متردد	غير موافق	غير موافق بشدة
٢١-	لا يدرك زوجي حقيقة مشاعري نحو بعض الأشياء	( )	( )	( )	( )	( )
٢٢-	يستجيب زوجي لاستجابة ظاهرية نحوي تختلف عن استجابته الحقيقية	( )	( )	( )	( )	( )
٢٣-	مشاعر زوجي غير مستقرة في معظم الأحيان ...	( )	( )	( )	( )	( )
٢٤-	يقدر زوجي منزلتي	( )	( )	( )	( )	( )
٢٥-	يستجيب زوجي لي بطريقة ميكانيكية آلية	( )	( )	( )	( )	( )
٢٦-	يهتم زوجي بنفسه أكثر من اهتمامه بي	( )	( )	( )	( )	( )
٢٧-	زوجي يكرهني	( )	( )	( )	( )	( )
٢٨-	يعاملني زوجي بصدق وإخلاص	( )	( )	( )	( )	( )
٢٩-	لا يبوح زوجي عن مشاعره نحوي	( )	( )	( )	( )	( )
٣٠-	أحياناً ما يكون زوجي متوتراً ولكنني أحاول عدم التعليق على هذا	( )	( )	( )	( )	( )
٣١-	يعبر زوجي عن مشاعره تجاه أي عمل أقوم به ..	( )	( )	( )	( )	( )
٣٢-	يشعر زوجي بمودة كبيرة نحوي	( )	( )	( )	( )	( )
٣٣-	لا يخفي زوجي أفكاره ومشاعره الخاصة عني ...	( )	( )	( )	( )	( )
٣٤-	يستجيب زوجي دائماً نحوي بكل دفء واهتمام ..	( )	( )	( )	( )	( )
٣٥-	يحاول زوجي أن يحترم رغباتي الخاصة	( )	( )	( )	( )	( )
٣٦-	يعرف زوجي دائماً بالضبط ماذا أقصد	( )	( )	( )	( )	( )
٣٧-	كثيراً ما يكون زوجي ألوفاً ورقيقاً معي	( )	( )	( )	( )	( )
٣٨-	يكون زوجي مطمئناً ومرتاحاً في علاقاته مع الآخرين	( )	( )	( )	( )	( )
٣٩-	يقدرني زوجي مهما حاولت التقليل من شأني	( )	( )	( )	( )	( )
٤٠-	عادة ما يفهم زوجي كل ما أريد أن أقوله	( )	( )	( )	( )	( )
٤١-	يحترمني زوجي حتى ولو كنت حادة الطباع معه.	( )	( )	( )	( )	( )